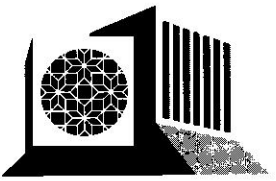

مجلـــــة

كلية الشـــريعة والـدراســـات الإســـلاميـة

العدد الثالث والعشرون ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

الفصلُ بين المتعاطفين في القرآن الكريم
وروعة بيانه في المعاني والأحكام

إعداد

د. أحمد بن أحمد شرشال

الأستاذ المشارك – قسم أصول الدين

جامعة بروناي دار السلام

معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين

للدراسات الإسلامية

مقدمة بين يدي البحث

بســم الله الرحمــن الرحــيم ، الحمد لله رب العالمين أحمده سبحانه وتعالى وأشــكره ، وأستعين به وأستغفره وأتوب إليه ، الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البــيان ، علــم بــالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى أله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد:

فــإن إعجاز القرآن الكريم يسري في نصوص القرآن الكريم كلها ويوجد في ســوره وآياته الطويلة والقصيرة وفي كلماته وحروفه بل وفي ترتيبه وتأليفه. وإن الحرف الواحد من القرآن الكريم معجز في موضعه، لأنه يُمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية، والآيات الكثيرة، ويؤدي معنى وغرضاً لا تؤديه جميع الحروف ، عن جعلتها تنوب عنه سواء كان الحرف من حروف المباني أو من حروف المعاني كــل فــي موضعه. وإن مما يتفق مع الإعجاز البياني في تأليف القرآن ونظمه حمل الحرف على معناه، وفهم الآية على معنى ذلك الحرف ، وعدم تفسيره بمعنى حرف آخر، ويتجلى لك هذا المعنى بالأمثلة التالية:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)(مريم/٨٣) ذكر الزمخشري والألوسي والسمين الحلبي والشوكاني والرازي وغيرهم أن معنى: (تَؤُزُّهُمْ) تهزهم ، وقالوا إن الأز والهزّ أخوان.

أقــول : إن تغيــير حــرف الهمزة بحرف الهاء بقولهم(تهزّهم) والهزّ والأز أخــوان لا يفــيد المعنى المراد من (تَؤُزُّهُمْ) ، ولا يمكن لحرف الهاء أن ينوب عن الهمــزة ، ويــؤدي المعــنى الذي تؤديه ، فإن الهاء أضعف الحروف، ولذلك قوّتها العرب بالصلة، وألحقها بعضهم بحروف الخفاء.

فإن معنى (تَؤُزُّهُمْ) : تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس وتدفعهم دفعاً قوياً إلى المعصية ، مأخوذ من أزّت القدر أزاً أي غلت واشتد غلياتها حتى

سمع لها صوت ، بينما: (الهزّ) لا يفيد إلا التحريك بشدة، وقد فرّق القرآن بينهما فقال : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)(مريم/٢٥)

وقال هنا: (تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) ، ولما كان الأزّ أقوى استعمل القرآن الحرف الأقوى ، وهو الهمزة للمعني القوى مجهورة وشديدة ، ولما كان الهزّ أضعف منه ، استعمل القرآن الحرف الأضعف وهو الهاء للمعنى الأضعف، لأن حرف الهاء مهموسة ورخوة، وهي من أضعف الحروف.

وهذا واضح جليّ في استعمال القرآن للفظ: (واللائي) ولفظ(واللاتي) ، فاستعمل (اللاتي) بالهمزة في حالة الظهار والطلاق، وهي حالات شاقة وعسيرة تناسب ثقل الهمزة وشدّتها، واستعمل (اللاتي) بالتاء في غيرهما لأن حرف التاء دون حرف الهمزة في الثقل.

وقس على ما تقدم قوله تعالى: (كدحاً) و(قدحاً) ، فإن الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها من كدحَ جلْدَه إذا خدشهُ، والقدح: إخراج النار من حوافر الخيل لشدة وقعها على الحجارة وتصادمها واحتكاكها، وكل من القَدح والكَدح يحدث أثراً مادياً ومعنوياً، ولكن يختلفان في القوة، فالقاف التي في (قدحاً) أقوى فكان أثرها أقوى في المعنى حتى انبعثت منها نار، والكاف التي في (كدحاً) أضعف منها فكان أثرها أضعف من القاف.

ومن هذا الباب: (عاصف) و(قاصف) قال تعالى: (جاءتها ريح عاصف) أي ريح شديدة الهبوب (دعوا الله مخلصين له الدين) فلما أنجاهم إلى البرّ سالمين عادوا إلى البغي والفساد ، فتوعّدهم الله مرة أخرى أقوى من الأولى ، وليست مثلها سمّاها: (قاصف) والفرق بينهما العين والقاف وباقي الحروف متماثلة لا تفيد شيئاً في التفرقة بين المعنيين فقال (أم أمنتم أن يعيدكم فيها تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم)(٦٩ الإسراء) .

الريح العاصف شديدة الهبوب، والريح القاصف: الريح القوّية التي تحكم وتكسر ما تأتي عليه، والذي أفاد هذا التباين في المعنى هو حرف القاف وحرف

العين ، فاستعمل القرآن الحرف القوي للمعني القويّ وهو القاف ، واستعمل الحرف الأضعف منه للمعنى الأضعف، كل في موضعه ولا ينوب أحدهما عن الآخر بحال.

وقــل مثل ذلك في قوله تعالى: (وما كان عطاء ربّك محظوراً)(٢٠ الإسراء)، وقولــه تعــالى: (إن عــذاب ربّك كان محذوراً)(٥٧الإسراء)، ومعنى حظوراً: أي ممنوعاً ، فنعم الله تتراً على كل إنسان غير ممنوعة ولا مقطوعة، ومعنى محذوراً: أي مــن الحذر وهو التيقظ والاحتراس. والذي أفاد المنع هو حرف الظاء، لأنه من الحــروف القوية ، وباقي حروف الكلمة متماثلة ، والذي أفاد معنى الحذر هو حرف الــذال لأنــه دون حــرف الظــاء في القوة مع أن الكلمتين على وزن واحد، وباقي حــروفهما مــتماثلة، ومخارج حروفهما واحدة،إلا أنهما يختلفان في بعض الصفات فقــط، وهي التي فرّقت بين مَعْنَيْيهما، فالصفات الضعيفة لحرف الذال وهي الاستفال والانفتاح هي التي جعلت (محذوراً) بمعنى الحذر.

ومــن هــنا نقــول: إن صفات الحروف لها دلالات في المعاني وأثر كبيرٌ في الأحكام ، سبحان من جعل هذه الحروف مباني كلامه وكتبه، فبها علَّم القرآن، وبها علَّــم الإنسان البيان، وبها فضّل الإنسان، وبها أنزل كتبه، وبها أرسل رسله، وبها جمعت العلوم وحفظت ، وبها انتظمت مصالح البلاد والعباد. (١)

هــذا ما يتعلق بحروف المباني، أما إذا جئت إلى حروف المعاني فستجد نوعاً آخــر من أنواع الإعجاز القرآني ، ومن ثمَّ آثرت أن أتحدث عن هذا النوع الذي لم يُمــط عــنْه اللِّثام ، ولا كشف عنه إنسان، واخترت من حروف العطف الواو الذي يــربط المعطــوف علــيه، وأثر الفصل بينهما في المعاني والأحكام، ولم يلتفت إليه علمــاء الــبلاغة والإعجــاز، فأحببت أن أظهر ما يترتب على فصل المعطوف عن المعطــوف علــيه في القرآن الكريم من المعاني والأحكام والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم(٣٢٥/٤).

الفصل بين المتعاطفين في القرآن الكريم
وروعة بيانه في المعاني والأحكام

أولاً : التعريف اللغوي:

أصـــل الفصل : إبانة الشيء من الشيء أو الأشياء حتى يكون بينهما فرجة، وفصـــل القـــوم عن مكان كذا، وانفصلوا أي فارقوه فيكون معناه أيضاً التفريق بين الأشـــياء ، ويطلق ويراد به الإبانة والقطع نحو: فصلت الغصن عن الشجرة والتبنَ عن الحبّ [١].

ويســـتعمل فـــي الماديـــات والمعنويات ، ومنه قوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثـــون شـــهراً) [٢] أي يفصـــل الرضيع عن الرضاع ويفطم، ومنه قوله تعالى(فلما فصـــل طـــالوت بالجنود) [٣] أي فارق مكانه الذي كان فيه ، ومنه قوله تعالى (ولما فصلت العير) [٤].

ومنه سمي يوم القيامة بيوم الفصل: (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) [٥] ، أي يـــوم يفصـــل فيه بين الحق والباطل والظالم والمظلوم، ومنه سمي القرآن قولاً فصـــلاً (إنه لقول فصل) [٦] ، أي بيّن ظاهر يفصل به بين الأشياء لا التباس فيه ، ولا لبس (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) [٧].

وفصـــل الله عز وجل فيه كل شيء(ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم) [٨]، وقال (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) [١], وآياته مفصلة(كتاب أحكمت آياته ثم

---

(١) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ٤٢٦ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي (٣/ ٢٣٣).
(٢) من الآية ١٥ سورة الأحقاف.
(٣) من الآية ١٤٩ سورة البقرة.
(٤) من الآية ٩٤ سورة يوسف.
(٥) من الآية ٣٨ سورة والمرسلات.
(٦) من الآية ١٣ سورة والطارق .
(٧) من الآية ٩٨ سورة الأنعام .
(٨) من الآية ٥٢ سورة الأعراف .

فصلت من لدن حكيم خبير)[٢]، أي بينت وفصلت وميّز بعضها من بعض، ولذلك سميت أواخرها فواصل لأن الكلام انفصل بعضه عن بعض ، ومن ثم أطلقت كلمة المفصل على قصار السور، فسمي المفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وفضل الله نبيه بالمفصل[٣].

قال علم الدين السخاوي: (وسمي المفصل بذلك لكثرة انفصال بعضه عن بعض ، وسُمي المحكم لأنه لم ينسخ منه شيء) [٤].

ووصف الله القرآن وسمّاه مفصّلاً في ثمان عشرة آية والتفصيل هو التوضيح والتبيين، فالقرآن الكريم سورٌ محكمات، والسورُ آيات، والآيات حروف وكلمات والجميع مفصلُ، فصّل الله آياته القرآن تفصيلا متقناً بَيّناً واضحاً جليّا، فلا غموضَ ولا خفاء ، ولا لبْس فيها آيات بينات الدّلالة واضحةُ المعاني، وَمُبَيّنات لغيرها ، قال تعالى (لقد أنزلنا آيات مبَيّنات) فقرئت (مبَيِّنَات) [٥] بكسر الياء على أنها تبين للنَّاس كلَّ ما يحتاجون إليه، وقرئت (مبَيَّنات) بفتح الياء أي بيّنها الله ووضحها ببلاغتها وقوة حجتها.[٦]

ثانياً : تعريف الفصل في اصطلاحي

أضفته إلى نفسي لأن هذا النوع من علوم القرآن لم أجد من حام حوله، ولم يطرقه أحد لذلك وضعت مصطلحاً لهذا البحث فأقول: الفصل هو فصل المعطوف عن المعطوف عليه بمتعلقات الجملة ومتمماتها ومكملاتها فتكون هذه المكملات فاصلاً بين المعطوف عليه والمعطوف كما تقدم في التعريف اللغوي، والعلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الذي اصطلحت عليه واضحة بحيث لا يتوالى المعطوف والمعطوف عليه نحو (قام الأبُ ببناء البيت وأولادُه).

---

(١) من الآية ١١٤ سورة الأنعام .
(٢) الآية ١ من سورة هود وغيرها.
(٣) انظر : الرهان للزركشي(٣٤١/١) والإتقان للسيوطي(١٣٩/١).
(٤) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي(١٧٨/١).
(٥) من الآية(٤٦) النور.
(٦) التحرير والتنوير(٢٦٧/١٩).

والأصل في المعطوف والمعطوف عليه كمال الاتصال والتوالي لأنهما مشتركان في إحداث الفعل، ومن ثم أدرج في التوابع والتابع يتبع المتبوع لأن الواو أشركتهما في صفة ما ، ويمكن أن يدرجا في باب التقديم والتأخير لأن المعطوف تأخر عن المعطوف عليه، وفصل بينهما بمتعلقات الجملة، وكان حقه التقديم، ولا أدري لماذا لم يتكلم علماء البلاغة على هذا النوع في باب ما اصطلحوا عليه الوصل والفصل مع أنه أدخل في هذا العنوان[1].

والذي أعنيه هنا يختلف تماماً عمّا قصدوه بالوصل والفصل، وأنا أعني الوصل والفصل بين المعطوفين بالواو، لأن الواو كما يقول علماء المعاني يحتاج العطف بها على لطف في الفهم ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرد الرّبط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم بخلاف العطف بغيرها فتفيد مع التشريك معاني أخرى[2].

قال الدكتور:عبدالقادر السعدي: (الأصل الحقيقي للواو أن تكون عاطفة مفيدة معنى الجمع والاشتراك) [3].

وأعني بمتعلقات الجملة أموراً كثيرة كالمفعول به والمفعول معه والمفعول مطلق والمفعول لأجله والحال والتمييز والمستثنى والجار والمجرور والظرف وغير ذلك مما ليس مسنداً أو مسنداً إليه. وقد قرّر علماء البلاغة أن الأصل فيها التأخير، وأن تَرِد في أواخر الجملة ، ولا ينبغي أن تتقدم إلا لنكتة بلاغية. والمعطوف ينبغي أن يتقدم ليوالي المعطوف عليه لأنه تابع له ، ويأخذ حكمه [4].

ثالثاً : سبب اختياري لهذا البحث

ومن هنا لاحت لي بعض المعاني في هذا الأسلوب وخفي عليّ بعضها، وإن قلمي ليعجز عن تصوير هذه المعاني التي تظهر لي من حين لآخر، وأنا أمتع النظر

---

(١) انظر : جواهر البلاغة للسيد الهاشمي ١٧٩، المعاني في ضوء أساليب القرآن – عبد الفتاح لاشين ٢٢١.
(٢) انظر : جواهر البلاغة (١٨٠).
(٣) أثر الدّلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام ص ١٤٦.
(٤) انظر : من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ٣٣١.

في المصحف الشريف، واقلب الفكر في رياض القرآن الكريم، وفجأة كانت تستوقفني آيات بينات اتصل فيها المعطوف بالمعطوف عليه بدون فاصل، وفي الوقت نفسه كانت تستوقفني آيات بينات أخرى ، فصل فيها بين المعطوف والمعطوف عليه فشدني هذا الاختلاف، وهذا التباين بين الأسلوبين ، فجمعت بضع آيات بينات فظهر لي الفرق الواضح الجلي بين الأسلوبين في المعاني والبيان والأحكام، وليس هو من قبيل التقديم والتأخير كما صرح بذلك جمع من المفسرين، حين لم يدركوا المعاني والأحكام من فصل المعطوف عن المعطوف عليه، فاضطروا إلى القول بالتقديم والتأخير، وأسرفوا في هذا الباب كما سنوضحه في هذه الآيات البينات. وكانت هذه الفكرة منذ زمن تراودني ولما حللت وطاب مقامي بسلطنة بروناي دار السلام اشتدت عليّ الفكرة، لأن الجوّ في دار السلام جوّ صفاء روحي وأخلاقي وعلمي وسكينة ووقار فصار الإلحاحُ عليّ أقوى ما يكون ولا عجب في ذلك (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) [1].وكان أول من فتق ذهني على هذا النوع من علوم القرآن الإمام الطاهر بن عاشور التونسي فقد كان ذا إحساس بديع وذوق رفيه لأسلوب القرآن وروعة بيانه كما سيأتي في الأمثلة التطبيقية.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع فقد وجدت قوماً من المفسرين بالغوا في القول بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم بل قدروا محذوفات ما أنزل الله بها من سلطان، أوقعهم في كثير من التكلف المذموم، وكل معنى ظاهره – في نظرهم – غير مستحسن فروا إلى القول بالتقديم والتأخير وخالفوا ترتيب ونظم الكلام الذي هو الأصل ، وجعلوا اللفظة في رتبة قبل رتبتها التي هي فيها ، وترتب على ذلك معان وأحكام خاطئة كما سيتبين ذلك في الأمثلة.

بل ذهب بعض اللغويين والنحويين إلى أبعد من ذلك وقلدهم في ذلك بعض المعاصرين فكانوا يقدرون في الآية كلمة محذوفة ويفسرون الآية على ضوء هذا المقدر الدخيل في الآية ثم إذا وجدوا المعنى لا يتناسب مع ما قدّروا يلجأون إلى التأويل المتكلف والآية معناها واضح، وتستغني عن هذا المقدّر.

---

(١) الآية ٥٨ سورة الأعراف.

قـــالوا فـــي قوله تعالى:(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [١].

قالوا (بيدك الخير) تقديره (والشّر)، لأن مقاليد الأمور كلها بيده تعالى، وإنما آثر ذكر الخير، لأن مطلوب العباد ومرغوبَهم إليه أو لأنه أكثر وجوداً في العالم من الشر وأيضاً فإن التأدب مع الله عز وجل يقتضي ألا ينسب إليه الشر)[٢].

وهكـــذا يقـــدرون: (بيده الخير والشر) ثم ينفون نسبته إليه تعالى ، وهو لم يذكـــر في الآية أصلاً فلماذا إثبات هذه الزيادة ثم نفيُها؟ فإن هذا المقدّر المذكور قد ذكر تقديره كثير من المفسرين.

ذكره الشوكاني وقال:(وأصله بيدك الخير والشر) [٣]، وذكره أبوالطيب صديق وأبوعـــبد الله القرطبي وغيرهم[٤] ويحتجون بالآية في مقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر فقالوا: تقديره: (بيدك الخير والشر) وهذا التلازم والـــترابط الذي ذكروه ليس بلازم في كل الأحوال والمقام لا يقتضيه ، وهذه القاعدة ليست صحيحة.

قـــال تقي الدين بن تيمية الحرّاني: (قلت:) هذا القول – وقيل معناه إن علينا للهـــدى والإضـــلال – هو من الأقوال المحدثة التي لم تعرف عن السلف وكذلك ما أشـــبهه ، فإنهم قالوا: معناه: بيدك الخير والشر ، والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يقول: (والخير بيدك والشر ليس إليك)[٥].

وقال الحافظ ابن كثير: (وقد ورد في الصحيح: والشر ليس إليك)[٦].

وبناء على ما تقدم، فإن هذا المقدر ليس صحيحاً، ودعوى التقديم والتأخير لا تكـــون دائمـــاً صحيحة، كما سنبينه فإن الله عز وجل ذكر الهدى ولم يذكر ما يقابله

---

(١) الآية ٢٦ سورة آل عمران.
(٢) قواعد التفسير (٣٧٥/١).
(٣) فتح القدير للشوكاني(٤٩٨/١).
(٤) انظر: فتح البيان(٢١٢/٢) الجامع للقرطبي(٥٩/٤).
(٥) أخرجه مسلم ، باب الدعاء ، انظر دقائق التفسير (١٥٠/٥).
(٦) تفسير ابن كثير (٤٥٨/٤).

وهو الإضلال، وذكر الآخرة وذكر ما يقابلها وهي الأولى ، فقال عزّ وجلّ (إن علينا للهدى ، وإن لنا للآخرة والأولى) [1].

فهـذا يـرد على من قال: إن علينا للهدى والإضلال ، فحذف الإضلال كقوله: (سرابيل تقيكم الحرّ) أي والبرد[2].

والأولـى فهم الآية على ما وردت في القرآن ، وعلى عدم تقدير المحذوف ، وعلى عدم تقدير التقديم والتأخير في المواضع التي لا يقتضيها المقام ولا السياق ، والزيادة على نص الآية كالنقص منها، فلا تجوز الزيادة في تفسير كلام الله انتصاراً لقاعدة نحوية ، فهدم القاعدة من أساسها أهون من الزيادة في تفسير كلام الله.

ومـن أسباب اختيار لهذا البحث لم أجد من بحث هذا الموضوع، ولم أجد من نّـبه علـى هـذا إلا الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهـيم القواعد من البيت وإسماعيل) [3] ، كما سيأتي ، ولم يذكر ذلك بقية الآيات المشـابهة لهـا، بل تابع في بعضها القائلين بالتقديم والتأخير، وأشار أبوحيان في بعـض الآيات إشارة خفية إلى علة الفصل بين المتعاطفين ، فحملني ذلك على جمع بعض آيات والنظر فيها، فكان هذا البحث.

رابعاً : مشكلات البحث

لاحظـت وأنـا أتأمل كتاب الله وأتدبره أن أسلوب العطف في القرآن الكريم إذا توالت المعطوفات بعضها إثر بعض ، ولم يفصلها فاصل فإنها تشترك في الحكم على حـدّ سواء، ولا يكون هناك تفاوت أو رمزية لأحدهما على الآخر إلا المقدم منها فقد يكـون له مزية، ولنجعل هذه الآية معياراً نقيس به أحوال التعاطف.قال تعالى: (إِنَّ الْمُسْـلِمِينَ وَالْمُسْـلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِيـنَ وَالْمُؤْمِـنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ

---

(١) الآية ١٢، ١٣ سورة والليل.
(٢) فتح القدير للشوكاني(٦٤٢/٥)، روح المعاني للألوسي(١٨٥/٣).
(٣) من الآية ١٢٧ في سورة البقرة.

وَالصَّـــائِمِينَ وَالصَّـــائِمَاتِ وَالْحَافِظِيـــنَ فُـــرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَـــاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) {الأحزاب/٣٥}

بشر الله المتصفين بهذه الفضائل بالمغفرة والأجر العظيم ، فكل واحد من هؤلاء المتصـــفين بالصـــفات المذكورة والنعوت الجليلة أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجراً عظـــيماً، فهـــذه النعوت الجميلة أوجبت لهم هذا الجزاء الجميل فضلاً من الله. وقد اشـــتملت هـــذه الخصال العشر على جوامع فصول الشريعة كلها[١]، هذا المعطوفات المتوالية بدون فصل أفادت استواءهم في المغفرة والأجر العظيم.

تحـــدث علماء علوم القرآن عن ترتيب سور القرآن وترجّح عند جمهورهم أن ترتيـــب ســـور القـــرآن على ما هو عليه في المصحف الآن توفيقي وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه، شأنه كترتيب الآيات سواء بسواء[٢].

قـــال أبوبكر الأنباري: (اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن) [٣].

ثم تحدثوا عن ترتيب الآيات في سورها وأجمعوا على أن ترتيب الآيات توقيفي ولم يخالف في ذلك أحد منهم.

قـــال الحـــافظ السيوطي: (الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفـــي لا شبهة في ذلك، أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبوجعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته : ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه – صلى الله عليه وسلم– وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين)أ هـــ. [٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنويرللإمام ابن عاشرو(٢٢/٢٢).
(٢) انظر: دراسات في علوم القرآن فهد الرّومي(١٠٧).
(٣) انظر : الاتقان (١٣٦/١) والبرهان للزركشي(٣٥٨/١).
(٤) الإتقان في علوم القرآن(١٣٢/١).

قال الإمام مالك : (إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم) [1].

وأنـــا أتحـــدث اليوم بتوفيق الله وعونه عن ترتيب أجزاء الجملة القرآنية وما يترتـــب علـــى تفـــريق أجزائها من معان وأحكام. وأقتصر على أسلوب الفصل بين المتعاطفيـــن وروعـــة بيانه في المعاني والأحكام في القرآن الكريم، وهو في معنى كلامهـــم تقدير تقديم المعطوف المتأخر عن متعلقات الجملة ليتصل بالمعطوف عليه من غير فاصل بينهما بما يتعلق بالجملة.

ترتيـــب أجزاء الجملة القرآنية ، والعبارة المؤلفة من هذه الجمل يشملها إعجاز القرآن وداخلة تحته، فالقرآن كله معجز في لفظه ومعناه ونظمه وترتيبه.

وقـــد نص على ذلك الفخر الرازي ونقله الحافظ السيوطي فقال: ومن تأمل في لطـــائف نظـــم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصـــاحة ألفاظـــه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذيـــن قـــالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضـــين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور ، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل:

والنجمُ تستصغرُ الأبصار رؤيتَه ∴ والذنبُ للطرفِ لا للنجمِ في الصِّغَرِ[2]

وقال في موضع آخر: (فما أحسن هذا الترتيب؛ لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط) [3].

والـــروابط هنا في بحثي هذا هو واو العطف كما قيل: لفظ حامل ومعنى به قائم وربط لهما ناظم[4].

---

(١) انظر: البرهان للزركشي(٣٥٤/١).
(٢) تفسير الفخرالرازي(١٤٦/٥)، الاتقان في علوم القرآن(٢٣٥/٢).
(٣) تفسير الفخرالرازي(١٤٦/٥)، البرهان للزركشي(١٣٢/١).
(٤) انظر: الاتقان في علوم القرآن(٢٦١/٢).

خامساً : الدراسات السابقة

بلـــغ القرآن الكريم في أسلوبه وطريقة بلاغه الذروة العليا من الفصاحة والقمة العلـــيا مـــن الـــبلاغة لا يرقى إليها فحول البلاغة وأرباب الكلمة، فاستعمال القرآن للكلمة في موضعها لا ينوب عنها لسان العرب.

قال ابن عطية الأندلسي:(كتاب الله لو نزغت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجـــد أحســـن مـــنها لم يوجد)[1]. وأنا أقول: يستحيل أن توجد كلمة أحسن من الكلمـــة القرآنية، ولكن الأولى أن يقول ابن عطية لا توجد كلمة تنوب عنها وتؤدي الغرض الذي تؤديه.

هـــذا في مفرداته وكلماته، وإذا جئنا على نظمه وترتيب كلامه العجيب وروعة بيانه في الفصل بين المتعاطفين نرى فوق ذلك فصاحة وبلاغة لا يرقى إلى مستواها كـــلام البشـــر.لـــم يـــزد علماء اللغة العربية في تعليلاتهم للتقديم والتأخير في باب المتعاطفين على قولهم اهتماماً به، أو رعاية للفاصلة والمشاكلة أو حثاً عليه.

وقـــد عقـــد الإمام الزركشي باباً في بيان أسبابه وأنواعه ونوّه به فقال هو أحد أســـاليب الـــبلاغة فإنهم أَتَوْا بِهِ دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق)[2].

وتوســـع الإمام بدر الدين الزركشي في شرح أسبابه , أسراره زادت عن خمس وعشرين نوعاً، وضرب له الأمثال ولم يكن من بينها ما نعنيه في بحثي هذا.

وفعـــل مـــثله الحافظ السيوطي في الإتقان في النوع الرابع والأربعين، واقتصر علـــى عشـــرة أنـــواع في أسبابه وأسراره[3]، وقد خلا الكتابان من هذا النوع الذي أعنيه كما خلت منه كتب البلاغة وكتب أصول التفسير.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٥٢/١).
(٢) انظر: الرهان في علوم القرآن(٣٠٣/٣).
(٣) انظر: الاتقان في علوم القرآن(٢٦/٢).

قـــال ابن عطية الأندلسي: ((إن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علمـــاً، فـــإذا رتبـــت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن على آخره)) [1].

وهـــنا جال في خاطري أن هذا الذي يعربه النحاة، ويقررون أنه من باب التقديم والتأخـــير، دفعني إلى إعادة الكرة في التفكير، وأقول: إذا كانت السورة، وهي تكاد تشـــكل وحـــدة واحدة مستقلة ، وقالوا : إن ترتيب السور توقيفي، وأقول أيضاً: إذا كانت الآيات قد أجمعوا على أن ترتيبها في سورها توقيفي أفلا يكون ترتيب الكلمات أَحْرَى بهذا الترتيب البديع؟ أفلا يكون ترتيبُ الكلمات في الجملة ، والجمل في الآيات أحق وألزم من ترتيب الآيات والسور. حقاً إنه لكذلك.

فلـــيس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية مراعاة للتناسب والتشاكل فحسب، ولكـــن المعنى هو الذي جعل ترتيب الجملة على النحو الذي نراه في المصحف من فصـــل المعطـــوف عن المعطوف عليه، وينفصل التابع عن المتبوع، ولم يكن تأخير المعطوف عليه ليحرز هذا المعنى لو والى أحدهما الآخر.

أقـــول: إن العـــبرة بالمعاني لا بالألفاظ ، لأن الألفاظ قوالب للمعاني. قال الإمام الزركشي: ((قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد ... بأن يوجد في الكلام أن المعـــنى يدعـــوا إلـــى أمـــر والإعراب يمنع منه، قالوا: والمتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة المعنى الإعراب)) [2].

ويقول أبو الفتح ابن جني قبله:((فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق تقدير الإعراب)) [3].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٥٢/١).
(٢) الرهان في علوم القرآن(٤١٧/١)، والإتقان في علوم القرآن(٣٨٨/١).
(٣) انظر: القرآن وأثره في الدراسات النحوية ٢٢٠ وأحال على الخصائص (٣٨٤/١).

وقـــال في موضع آخر: ((تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه فمتى اعتورا كلاماً مّا أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب))[١].

الأصل ترتيب الحروف والكلمات:

الحفـــظ للقرآن الكريم ما هو في حقيقته وجوهره إلا ترتيب الحرف بعد الحرف والكلمـــة بعـــد الكلمـــة، والجملة بعد الجملة . والآية بعد الآية وهكذا من أوله إلى آخـــره، ولا يسمى الحافظ للقرآن حافظاً إلا إذا عرضه عرضاً مرتباً على هذا النحو الذي نجده في المصاحف.

والصحابة رضي الله عنهم ألفوه ورتبوه على نحو ما كان يسمعوه من النبي – صـــلى الله عليه وسلم– قال الإمام مالك رضي الله عنه:((إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم[٢] وكانوا يتلونه على هذا الترتيب)).

وقد أمر الله عز وجل بهذا الترتيب والترتيل فقال:(ورتل القرآن ترتيلا)[٣]،

قـــال الزركشـــي: ((وفسر بعضهم الترتيل: أي اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديـــم ولا تأخـــير ، وجاء النكير على من قرأه معكوساً، ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزم على هذا الترتيب))[٤].

وهذا التفسير الذي نقله الإمام الزركشي نسبه أبوالحسن الماوردي إلى ابن بحر وقـــال: (أن تقرأه على نظمه وتواليه لا تغير لفظاً ولا تقدم مؤخراً مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا استوى نبتُها وحسن انتظامها) [٥].

---

(١) القرآن وأثره في الدراسات النحوية، د.عبدالعال سالم، ولم يتيسر لي كتاب الخصائص لابن جنّى.
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي(٣٥٤/١).
(٣) من الآية ٤ سورة المزمّل.
(٤) البرهان في علوم القرآن(٣٥٧/١).
(٥) النكت والعيون للماوردي(٣٣٣/٤).

قــال الإمام القرطبي: ((الترتيل : التنضيد والتنسيق وحسن النظام))[1] وقال ابن الجــوزي: وافصل الحرف من الحرف الذي بعده ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض)) [2] ، وقال مجاهد بن جبر: ((بعضه على أثر بعض)) [3].

أقــول :هــذا كلــه يندرج تحت باب الترتيب ، وقد كان الإمام حمزة من القراء الســبعة يكره القراءة بالإدغام في الصلاة ويظهر الحرفين ، ولعل فعله هذا كان في الإدغام الجائز محافظة على الترتيب[4].

وقــد أنكــر النبي – صلى الله عليه وسلم- على بلال لما وجده يقرأ على غير الترتيــب المعــروف فقال:صلى الله عليه وسلم بلال:((مررت بك وأنت تقرأ من هذه الســورة ومــن هذه السورة؟ فقال: بلال: أخلط الطيبَ بالطيب، فقال صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ السورة على وجهها)) وفي رواية ((إذا قرأت السورة فأنفذها)) [5].

وكــان الصحابة -رضي الله عنهم- يكرهون مخالفة هذا الترتيب ، قيل لعبد الله ابن مسعود: ((إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال : ذلك منكوس القلب)) [6].

قــال علم الدين السخاوي: ((وإنما جاءت الرخصة في تعلم الصّبيّ والعجميّ من المفصــل لصعوبة السورِ الطِّول عليهما فهذا عذر ، فأمام من قد قرأ القرآن وحفظه ثــم تعمّد أن يقرأه من آخره إلى أوّله فهذا النكس المنهي عنه فإذا كرهنا هذا فنحن للنكس من آخر السورة إلى أوّلها أشد كراهة إن كان ذلك يكون)) [7].

علــى هذا يجب ترتيب الحروف في الكلمة وترتيب الكلمات في الجملة، وترتيب الجمــل في الآية ، وترتيب الآيات في سورها، وقد قرر العلماء هذا الترتيب بل بالغ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٧/١٩)، روح المعاني(١٧٩/١٦).
(٢) التمهيد لابن الجزري(٦١).
(٣) التمهيد لأبي العلاء الهمداني(١٤١).
(٤) جمال القراء وكمال الإقراء (٢٨٧/٢).
(٥) انظر: تخريج الحديث: جمال القراء (٢٧٨/١)، سنن القرّاء د. السقاري ١٧٣.
(٦) جمال القراء (٢٧٠/١).
(٧) جمال القراء (٢٧٢/١).

بعضهم وأدخل ترتيبه في منظومة إعجازه كما نص على ذلك فخر الدين الرازي فيما سبق.

قال الدكتور صلاح الخالدي: ((وقد أبطل الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوه الإعجاز المحتملة وقرّر أن الإعجاز إنما هو في نظم القرآن، والنظم هو حسن ترتيب الكلمات في الجملة بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب لها))[1].

كما أن ترتيب سور القرآن توقيفي على رأي الجمهور وترتيب الآيات في سورها توقيفي بإجماع من باب أولى وأحرى أن يكون ترتيب أجزاء الكلام والجملة توقيفي، ولا يحق لنا أن نقدر التقديم لما جاء متأخراً أو العكس كل كلمة وردت في الآية أو الأسلوب ذاك مكانها وذاك محلها فمن أخر كلمة مقدمة أو قدّم أخرى فقد خالف الأصل وأفسد نظم الآيات.

قال الشيخ عبد الرحمن الميداني: (ينبغي فهم الآية القرآنية وفق ترتيبها، أما الفهم الذي يقوم على أساس التغيير في ترتيب نظم الكلمات القرآنية بالتقديم أو بالتأخير لكلماته فقد يجر إلى فهم غير صحيح أو غير مراد أو إلى تعطيل دلالة النص أو إلى صرفه عن المعنى المراد الذي لا يفهم إلا ببقاء ترتيب النظم القرآن على حاله)) [2].

ونص أبوبكر الباقلاني على عدم جواز تقديم الآية على غيرها ، وتأخير المتقدم منها ومن كلماتها وحروفها وتقديم المتأخر ، وتأخير المتقدم واعتبر ذلك باطل فاسداً. [3]

وكل كلمة أو حرف وضع في موضعه يؤدي غرضاً ومعنى مقصوداً ، قال أبوالقاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) في باب التقديم والتأخير: إن هذا أصل يجب

---

(١) إعجاز القرآن البياني، ص٩٥.
(٢) قواعد التدبر الأمثل (ص ٢٠٧).
(٣) الانتصار للقرآن الكريم(١/٢٩٤).

الاعتناء به لعظم منفعته في كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم – إذ لابد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم في القرآن وتأخير ما أخر)) [1].

أقوال العلماء في وجوب الرّجوع إلى لغة القرآن :

إن المعربين لكتاب الله وأهل اللغة غابت عن أذهانهم معان جمة وأحكاماً هامة، واهـتموا بالألفـاظ وأهملوا جانب المعنى وقدروا محذوفات ، وقالوا بحروف زائدة، وقدّموا المتأخر وأخّروا المتقدم بل أنكروا بعض القراءات المتواترة.

قـال ابن هشام: ((وقد زَلت أقدام كثيرة من المعربين راعوا في الإعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى)) [2].

إذا تـنازع اللفـظ والمعنى هذا يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه يجب التمسك بعروة المعنى ويؤول لصحة المعنى الإعراب)) [3].

وقـال بأن خالويه في شرح الفصيح: (قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك)) [4].

قـال ابن الحاجب : إذا اختلف النحويون والقراء كان المصير على القراء أولى لأنهـم نـاقلون عمـن ثبتت عصمته من الغلط، ولأن القراءة تثبت تواتراً وما نقله النحويون فآحاد ثم لو سلم أن ذلك ليس بمتواتر فالقراء أعدل وأكثر فالرجوع إليهم أولى.

وأيضـاً فـلا ينعقد إجماع النحويين بدونهم لأنهم شاركوهم في نقل اللغة وكثير منهم من النحويين)) [5].

---

(١) نتائج الفكر في النحو (٢٠٩).
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(٣٨٣/١).
(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٣٨٨/١).
(٤) المزهر في علوم اللغة للسيوطي(٢٥٧/١).
(٥) نقله المارغني في النجوم الطوالع، ١٤٥.

وقـــال الفخر الرازي: ((أنا شديد العجب من النحويين ، إذا وجد أحدهم بيتاً من الشـــعر، ولو كان قائله مجهولاً يجعله دليلاً على صحة القراءة وهو فرح به ، ولو جعل ورود القراءة دليلاً على صحته كان أولى)) [١].

وقـــال الفخـــر الـــرازي في موضع آخر: ((إني لأتعجب كثيراً من تكلفات هؤلاء النحوييـــن .. وذلـــك أنهـــم لـــو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به، واتخـــذوه حجة قوية، فورود هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها)) [٢].

وقال الحافظ السيوطي في أصول النحو (فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أو آحاداً أو شاذاً) [٣].

أمـــا ابن حزم الظاهري ، فقد كان شديد الإنكار على النحاة فقال (من النحاة من ينـــتزع مـــن المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً، ويتخذه مذهباً ثم يعرض له الآية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها)).

وقال في موضع آخر: ((ولا عجب أعجب ممن إن وجد لأمرئ القيس أو لزهير أو الحطيـــئة .. أو من سائر أبناء العرب لفظاً من شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع بـــه ، ولـــم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرّفه عن موضعه))[٤].

---

(١) تفسير الفخر الرازي(١٤٨/٣، ١٧١/٥).
(٢) تفسير الفخر الرازي(١٤٨/٣، ١٧١/٥).
(٣) نقله المارغني في النجوم الطالع، ١٤٥، ١٤٦.
(٤) نقله محمد الحبش في القرءات المتواترة ٣٧٣ معجم القراءات (١٠٢/١).

دراسة تطبيقية
للفصل بين المتعاطفين

وبمـــا أن العلاقـــة بيـــن التقديم والتأخير والفصل بين المتعاطفين علاقة عموم وخصـــوص أتحدث عن التقديم والتأخير، وهو أعم من الفصل بين المتعاطفين ، ثم أعقبه بالحديث عن الفصل بين المتعاطفين وأثره في المعاني والأحكام.

أولاً : التقديم والتأخير :

سبق أن بينا أن الأصل إبقاء ترتيب الكلام على ما هو عليه وفهم الآية على هذا الترتيب ، كما رتبه الله وأجمع عليه العلماء، فإذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله فمـــدع علـــيها بالتقديم والتأخير ومانع منه فالأصح المنع منه ، إلا إذا ثبت ذلك بالدلـــيل القاطع، ولا أعني هنا في هذا البحث قواعد التقديم والتأخير المتفق عليها نحـــو : (إياك نعبد) ونحو تقديم الخبر على المبتدأ ونحوهما مما جاء مقدماً في نص الآية.

قـــال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: ((ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة)) [١].

وقال أبوجعفر النحاس:((ولا يقع التقديم والتأخير إلا بتوقيف أو دليل قاطع))[٢].

وخطـــأ أبوعمـــر والدانـــي من ادّعى التقديم والتأخير وقال: ((وهذا خطأ، لأن التقديم والتأخير مجاز فلا يستعمل إلا بتوقيف أو دليل قاطع)) [٣].

قال الحافظ السيوطي: ((وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه علـــيه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخّر منه مقدم، وإن الأمة

---

(١) جامع البيان(٦٦/١٣).
(٢) القطع والائتناف ، ٥٤٤.
(٣) المكتفى في الوقف والابتداء ، ٢٤٥.

ضـبطت عـن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة)) [١].

قـول السـيوطي: ((وذات الـتلاوة)) تعنى ترتيب حروف الكلمة، وتعنى ترتيب الكلمـات فـي الآيـة، كمـا قال مالك رحمه الله: ((إنما ألف القرآن على ما كانوا يسـمعون مـن النبي صلى الله عليه وسلم، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدموا أو يؤخروا شيئاً.

قـال السيوطي: ((وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم مـا نـزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا))[٢].

ونظـم القـرآن وعـبارته التي اشتملت عليها المصاحف يعود الفضل في هذا الترتيب العجيب إلى الارتباط بين الكلمات بعضها مع بعض ، ويعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك[٣].

وأضـرب لذلـك مثلاً من الآيات التي ادعي فيها التقديم والتأخير وأقتصر على بعضها.

وقولـه تعـالى: (فـلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)[٤].

ذكـر الـبغوي عـن قتادة ومجاهد في الآية تقديم وتأخير تقديره: ((فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم "في الحياة الدنيا" إنما يريد الله ليعذبهم بها ((في الآخرة)).

وجعلـوا قولـه تعالى: ((في الحياة الدنيا)) متعلق بـ(فلا تعجبك) وزادوا كلمة (فـي الآخرة)، لأنهم لا يرون وجهاً للتعذيب لأرباب المال والثراء وهم يتنعمون في

---

(١) الاتقان في علوم القرآن(١/١٣٥) ، البرهان في علوم القرآن (١/٣٣٠).
(٢) الاتقان في علوم القرآن (١/١٣٥)
(٣) خصائص القرآن ، د الرومي٢٣.
(٤) الآية ٥٥ في سورة التوبة وشبهها في الآية ٨٥ التوبة.

الظاهـر، ولكن الله يعلم أنهم يتعذبون في جمع المال وكسبه وحيازته وحفظه، ومن ثـم قـالوا إن فـي الآية تقديم وتأخير ، والآية على وجهها وترتيبها كما أسلفنا ، والتقديم والتأخير مخالف للأصل وهو ترتيب كلمها.

ونسـب القرطبي التقديم والتأخير إلى أكثر أهل العربية فقال: ((وهذا قول أكثر أهـل العربية ذكره النحاس ثم قال: وقول الحسن لا تقديم فيه ولا تأخير وهو حسن ... وهذا اختيار ابن جرير الطبري))[١].

وقـال أبـو حيان: إن المعنى: ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وفي الآخرة ونبه على عذاب الآخرة بعلته وهو زهوق أنفسهم على الكفر)) [٢].

ومـن العلمـاء الذيـن ردوا دعوى التقديم والتأخير في الآية الإمام الطاهر بن عاشـور فقـال: ((فقولـه: "في الحياة الدنيا" متعلق بـ " يعذبهم" ومحاولة التقديم والتأخير تعسف .. فيستغرق التعذيب بأموالهم وأولادهم حياتهم كلها)) [٣].

وقـال الفخر الرازي: (فثبت أن القول بهذا التقديم والتأخير ليس بشيء)) [٤] ، وقـال الحـافظ ابن كثير: ((واختار ابن جرير قول الحسن- أي العذاب الدنيوي - وهذا القول القوي الحسن)) [٥].

وقال ابن القيم ((ولم يصب من قال: إن الآية على التقديم والتأخير كالجرجاني .. والآيـة علـى وجههـا ونظمها .. والصواب أن يقال تعذيبهم بها بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها ومقاسات أنواع المشاق في ذلك.

والعـذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب كقوله صلى الله عليه وسلم:((السفر قطعـة مـن العذاب)) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)) أي يتألم ويتوجع لا أنه يعاقب بأعمالهم)) [٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤٨/٨).
(٢) البحر المحيط لأبي حيان(٥٦/٥).
(٣) التحرير والتنوير(٢٢٩/١٠).
(٤) تفسير الفخر الرازي(٩٥/٨).
(٥) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٢)، زاد المسير(٣٤٠/٣)، النكت والعيون(١٤٤/٢).
(٦) بدائع التفسير (٣٦١/٢، ٣٦٢).

والمعنى: يريد الله بعطائهم تلك الأموال والأولاد أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وقد بسط الإمام الرازي وجوه تعذيب المنافقين في الدنيا بالأموال والأولاد[١].

قـــال الزمخشري: ((وقد أعيد قوله: ((ولا تعجبك)) لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين ..))[٢] والله أعلم.

المثال الثاني مما قيل فيه إنه من المقدم والمؤخر قوله تعالى: ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً ..)) [٣].

ذكـــر الحافظ السيوطي هذه الآية في النوع الرابع والأربعين في مقدمه ومؤخره تحت عنوان: ما أشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح[٤].

ونقـــل الرازي عن الواحدي قال: جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير، والتقدير : ((أنزل على عبده الكتاب – قيّماً – ولم يجعل له عوجاً)).

قال الرازي: ((قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام، وبينا أن قوله: ((ولم يجعل له عوجاً)) يدل على كونه كاملاً في ذاته، وقوله: (قيما) يدل على كونه مكمّلا لغيره وكونه كاملاً في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكمّلا لغيره فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيـــب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى: ((ولم يجعل له عوجاً قيماً)) فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه)) [٥].

---

(١) انظر: تفسير الرازي (٩٥/٨).
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل (٢٨٤/٢).
(٣) الآية (١ ، ٢) سورة الكهف .
(٤) الإتقان ف يعلوم القرآن للسيوطي(٢٦/٢).
(٥) تفسير الفخر الرازي (٧٦/١١).

ونقــل الإمام بدر الدين الزركشي نصه ثم قال : ((وهذا فهم عجيب من الإمام؛ لأن القــائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه ((غير ذي عوج)) متأخر عن كونه: (قيما) في المعنى ، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب)) [١].

أقــول : سيظل كلام الرازي وجيهاً، لأن ترتيبه ونظمه هو الأصل على ما نظمه الله تعــالى ورتبه عليه رسوله صلى الله عليه وسلم لم يقدم من ذلك مؤخراً ولا أخر منه مقدماً.

والإمــام بدر الدين الزركشي نفسه قد قرر قاعدة مهمة ترد كلامه الأول فقــال: ((قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو علــى أمــر والإعــراب يمنع منه قالوا: والمتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة المعنى الإعراب)) [٢].

وقال الكرماني: ((إذا جعلته حالاً وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير)) [٣].

أقــول: فإنــه مــن المــتواتر أن رواية حفص عن عاصم السكت على قوله : ((عوجــاً)) ليبيــن أن قوله: ((قيماً)) ليست صفة لــ((عوجاً))، بل هي من أوصاف الكــتاب، قــال مكــي: وحجــته – حفص – في ذلك اختار للقارئ أن يبين بوقفه – السكت – أنه وقف تام، فإن قيما ليس بتابع في إعرابه لــ (عوجًا) إنما هو منصوب بإضمار فعل تقديره: ((أنزله قيما) [٤].

وحينــئذ يكــون الــتقديم والتأخير لا محلّ له من الإعراب الإصلاحي ، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك[٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٤٨/٣).
(٢) البرهان(٤١٢/١ ، ٤١٧) الإتقان (٣٨٨/١).
(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٩٤/٦).
(٤) الكشف لمكي (٥٥/٢) وانظر البحر (١٩٤/٦) إملاء ما من به الرحمن للعكبري(٩٨/٢).
(٥) انظر البرهان (٤١٢/١)

ثانياً : الفصلُ بين المتعاطفين وأثره في المعاني

أسلوب القرآن وروعة بيانه تظهر جلية في الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه وتدل دلالة قوية واضحة على أن المعطوف عليه أعلى مرتبة ومنزلة من المعطوف، فالفصل بينهما بمتعلقات الجملة ومكملاتها تدل على التفاوت الكبير بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يفهم هذا التفاوت ما لو عطف أحدهما على الآخر بدون فاصل، فالمعنى جليل والتفاوت كبير للمعطوف عليه إذا فصل أحدهما عن الآخر بخلاف ما إذا والى أحدهما الآخر.

والمعربون لكتاب الله تراهم غالباً ما يقدرون إذا وجدوا الفاصل بينهما تقديم المعطوف ليوالي المعطوف عليه، وهذا في رأيي يذهب ببلاغة المعنى وجمال التعبير وكمال الحكم ، ويسوّي بين المعطوف والمعطوف عليه في المعنى والحكم كما سيتضح في الأمثلة الآتية.

وقد جاء المتعاطفان متواليين في أسلوب القرآن كما تقدم في الآية من سورة الأحزاب، وجاء أيضاً مفصولين فلكل منهما معناه، ولو كان المعطوف في نية التقديم لقدمه الله ، ولما اختلفا اختلف معناهما حتماً، كل لفظ في مكانه، فهذا تغير المعطوف عن مكانه المتأخر، فإنما يريد الله عز وجل أن يلفتنا إلى معنى آخر وإلى شيء آخر أراده، ولم يكن قط فصل المعطوف عليه عن المعطوف لأجل التجانس والتشاكل ومراعاة الفواصل وإنما لمعان وأحكام.

ترتيب الكلام هو الأصل من غير فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، والقول بالترتيب مقدم وواجب على القول بالتقديم والتأخير وأنه الأصل في الكلام غلا أن الذي استوقفني هناك مجموعة من الآيات جاءت على غير هذا الترتيب وفصل بين المعطوف عليه والمعطوف ، فظن بعض المعربين واللغويين أن هذا من باب التقديم والتأخير، فدعوى التقديم والتأخير لا تصح، ولا يمكن لهذا الأسلوب أن يساوي أسلوب الاتصال والتوالي، فهذا الفصل جاء لأغراض ومعان جمة، ومن هنا فكرت في جمع هذه الآيات وبيان وجه الحكمة من هذا الاتصال والانفصال.

المثال الأول :

قـــال تعـــالى: ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ))[1] ، عطف : (وإســـماعيلُ) علـــى ((إبراهيمُ)) بعد المفعول والجار والمجرور وهي ((القواعد من البيـــت)) تـــدل على التفاوت بين عمل ((إبراهيم)) وعمل ((إسماعيل)) كتفاوت ذات إبراهـــيم وإســـماعيل ، فـــإذا أردت هذا التفاوت أوقع للعطف على الفاعل بعد ذكر المفعول وما يتعلق به.

قـــال الإمـــام ابن عاشور التونسي: ((وهذا من خصوصيات العربية في أسلوب العطـــف فيما ظهر لي ، ولا يحضرني الآن مثله في كلام العرب، وذلك أنك إذا أردت أن تـــدل على التفاوت بين الفاعلين في صدور الفعل تجعل عطف أحدهما بعد انتهاء ما يتعلق بالفاعل الأول ، وإذا أردت أن تجعل المعطوف والمعطوف عليه سواء في صدور الفعل تجعل المعطوف موالياً للمعطوف عليه)) [2].

قـــال الألوســـي: (وفي تأخير "إسماعيل" على " إبراهيم" عن المفعول المتأخر عـــنه رتبة إشارة إلى أن مدخليته في رفع البناء والعمل دون مدخلية إبراهيم عليه السلام، وقد ورد انه كان يناوله الحجارة)) [3].

وقـــال أبوالسعود: ((ولعل تأخيره عن المفعول للإيذان بأن الأصل في الرفع هو إبراهيم وإسماعيل تبع له، قيل إنه كان يناوله الحجارة)) [4].

قـــال رشيد رضا: ((وأما النكتة في تأخير ذكر إسماعيل عن ذكر المفعول مع أن الظاهـــر أن يقال وإذ يرفع إبراهيمُ وإسماعيلُ القواعد من البيت ، فهي الإلماع إلى كـــون المأمور من الله ببناء البيت هو إبراهيم، وبما كان إسماعيل مساعداً له ، وقد ورد أنه كان يناوله الحجارة)) [5].

---

(١) من الآية ٢٧ من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير(٧١٨/١).
(٣) روح المعاني للألوسي (٦٠٤/١).
(٤) تفسير أبي السعود(١٦٠/١).
(٥) تفسير المنار(٤٦٩/١).

هــذا الــتقدير الذي ذكروه ما ينبغي أن يكون الفصل بين المعطوف والمعطوف علــيه بمــتعلقات الفعل أفاد تبايناً كبيراً واختلافاً واضحاً بين العملين كاختلاف ذات إبراهــيم وإسماعيل، العطف في حد ذاته يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف علــيه مع اشتراكهما في الحكم الذي ذكر لهما ، فهذا فصل بينهما بمتعلقات الجملة ازدادت هذه المغايرة وتباينت.

أقــول : بناء على ما قرّره الشيخ الطاهر بن عاشور يجب أن نفهم معاني الآية على ترتيبها ولا داعي للقول بتقدير تقديم المعطوف ليوالي المعطوف عليه لأن عدم التوالــي هــو الــذي يــبرز المعنى ويجليه، وهو من لوازم ومقتضيات الفصل بين المتعاطفين والله أعلم.

براعة الفصل بين المتعاطفين تدل على معنى ، فإن قدرت التقديم ووالية بينهما ذهب المعنى المقصود بالفصل ، وفات من الكلام ونقص مغزاه.

المثال الثاني :

ومن الآيات التي جاء فيها اثر الفصل بين المتعاطفين في المعاني والأحكام قوله تعــالى: ((هَــلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ))[1].

قال أبو حيان: " وقيل في هذا الكلام تقديم وتأخير فالإتيان في الظل مضاف على الملائكة والتقدير أن يأتيهم الله والملائكةُ في ظلل"[2].

وقال ابن عادل الدمشقي: " ويحكى عن أبي والأصل إلا أن يأتيهم اللهُ والملائكة في ظلل"[3].

---

(١) الآية ٢١٠ من سورة البقرة.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان(١٣٤/٢).
(٣) اللباب في علوم الكتاب (٤٨٢/٣).

أقول : هذه التقديرات التي قدرها بعض اللغويين والمفسرين لكتاب الله، مخالفة لأصل الترتيب وللتلاوة وتخلّ بالمعاني والأحكام ما ينبغي أن تكون فترتيب كلام الله تعالى تابع لإعجازه يتضمن معاني ما كانت لتكون على هذه التقديرات.

وأقول أيضاً: ليس هذا أصلٌ كما حكاه ابن عادل عن أبيّ ولا يقاس كلام الله على كلام البلغاء والفصحاء من البشر، وإنما يقاسُ كلام البلغاء على نظم كلام الله.

وكل ما في الأمر إن هذا الترتيب وفصل المعطوف عن المعطوف عليه يدل على التفاوت الكبير بين إتيان الله عز وجلّ وإتيان الملائكة عليهم السلام، ويكون إتيان الله في ظلل من الغمام والملائكة، لا تشاركه فيه، إتيان الله يليق بجلاله وكماله ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) [1].

ويؤيد هذا المعنى ويقويه ويشهد له قراءة أبي جعفر من العشرة بخفض التاء في لفظ: ((والملائكة)) عطفاً على (في ظلل) أو(من الغمام) [2] الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بمتعلقات الفعل جعل المعطوفَ عليه أعلى مرتبة ومنزلة ، فأسلوب القرآن في التعبير عن هذا التباين الكبير فصل بينهما، وهذا من مبتكرات القرآن وخصائصه البلاغية في الوفاء بالمعاني والأحكام قل من تنبه إليه، فلنجعل هذا الأسلوب القرآني المعيار الدقيق نقيس به كلام العرب ، وأن نحسن استعماله في أحاديثنا وبحوثنا وكتاباتنا في المواضع الذي يقتضيها ، فترتيب الآية على ما هي عليه في المصحف أفادت معنى ما كان ليكون لولا هذا الفصل بين المتعاطفين فتأليف الله خير من تأليف البشر.

توسط الظرف بين المعطوف والمعطوف عليه أفاد تبايناً كبيراً في الإتيان فإتيان الله في ظلل من الغمام، وإتيان الملائكة ليس كذلك، وإن كان مقارناً لما ذكر من الغمام[3].

---

(١) من الآية ١١ سورة الشورى.
(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشر ٤٦.
(٣) تفسير أبوالسعود (٢١٣/١).

وأحسب أننا إذا قدرنا تقديم المعطوف ((والملائكةُ)) كما ذكروا ليتصل بالمعطوف عليه: (اللهُ) تدخل الملائكة في الظرفية ويشملها الظرف ((في ظلل من الغمام)) ، ولما تأخر المعطوف عن الظرف صار لا يشمله ولا يدخل فيه والله أعلم وسيأتي مفصلاً في آية ٢ سورة الجمعة.

المثال الثالث:

ومن الآيات التي ظهر فيها اثر الفصل بين المتعاطفين في المعاني والأحكام قوله تعالى: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) [١].

لفظ: (الرسول) فاعل وهو المعطوف عليه، ولفظ : (والمؤمنون) معطوف وفصل بينهما الجار والمجرور ((بما أُنزل إليه من ربّه))، ولما رأى بعض المفسرين هذا الفاصل الطويل جوّز أن يكون: (والمؤمنون)) مبتدأ ويكون الوقف قبله تاماً على قوله: (من ربّه).

وقال سعيد الأخفش: فالتمام فيه ((والمؤمنون))، قال أبوجعفر النحاس وهذا القول أولى من الأول، وروى عن ابن مسعود أنه قرأه: (وآمن المؤمنون) [٢]، فإن واو العطف توجب أن يكون الثاني داخلاً فيما دخل فيه الأول[٣].

وما ذكره الأخفش هو الصحيح، قال الإمام الطاهر بن عاشور: " فمن جوّز أن يكون : (والمؤمنون) مبتدأ فقد شذّ عن الذوق العربي"[٤].

وقال أبوحيان: "وقدم الرسول صلى الله عليه وسلم لأن إيمانهُ هو المتقدم وإيمان المؤمنين متأخر عن إيمانه ؛ إذ هو المتبوع وهم التابعون"[٥].

---

(١) الآية ٢٨٥ سورة البقرة.
(٢) قوله (وآمن) هذه الزيادة من باب التفسير وليست من باب القراءة لأن المصاحف العثمانية خلت من هذا.
(٣) انظر : القطع والائتناف للنحاس (١٢١/١) منار الهدى للأشموني ٥٥.
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(١٣٢/٣).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان(٢٧٨/٢).

ورد الألوسي على من جعل (والمؤمنون) مبتدأ ، ورجح الوجه الأول أي العطف وقال: بأنه – العطف – أقضى لحق البلاغة وأولى في التلقي بالقبول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ يكون أصلاً في حكم الإيمان بما أنزل الله والمؤمنون تابعون له[1].

أقول : لقد غاب عن أذهانهم أثرُ هذا الفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه في المعاني والأحكام، ففصل المعطوف وتأخيره عن الجار والمجرور أفاد تبايناً وتفاوتاً كبيراً بين إيمانه صلى الله عليه وسلم وإيمان المؤمنين ، فشتان ما بينهما.

قال محمود الألوسي مبيناً وجه تأخير المعطوف : " .. وتأكيداً للإشعار بما بين إيمانه- صلى الله عليه وسلم- المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمان سائر المؤمنين الناشيء عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجليّ والفرق الواضح كأنهما مختلفان من كل وجه"[2].

أقول : إن الفصل بين المتعاطفين أفاد:

أولاً : أن إيمان النبي -صلى الله عليه وسلم- مبني على المشاهدة والعيان: ((فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِه مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى))[3].

ثانياً : قوله: (بما أنزل إليه) خاص بالرسول – صلى الله عليه وسلم- ولم ينزل شيء على المؤمنين بخلاف ما لو تقدم المعطوف: (والمؤمنون) على قوله: (بما أنزل إليه) لأوهم أن القرآن نزل عليهم أيضاً وإن وصل إليهم.

وثالثاً : إن الفاصلة القرآنية غالباً ما تنتهي بحروف المدّ واللين فالنظم القرآني جمع بين جمال المعنى وجمال المبنى.

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٠٩/٣).
(٢) روح المعاني للألوسي(١٠٩/٣)، تفسير أبي السعود (٢٧٤/١).
(٣) الآيات (١٠ –١٨) من سورة والنجم.

أسلوب الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه دل على التفاوت العظيم والاختلاف الكبير بين إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم وإيمان المؤمنين ، بل لولاه ما عرف المؤمنون الإيمان ، فهو الأصل صلى الله عليه وسلم.

المثال الرابع :

من الآيات التي يظهر فيها جلياً أثر الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف في المعاني والأحكام قوله تعالى: ((شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلآئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (آل عمران/١٨)

تضمنت هذه الآية شهادة الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط والملائكة شهدوا والعلماء شهدوا أيضاً، ولكن شهادة الله فصلت بالمفعول: ((أنه لا إله إلا هو)) ثم عطفت شهادة الملائكة وهي المقدمة ثم تلتها شهادة العلماء فهذا الترتيب بين مراتب الشهادة فأعلاها شهادة الله، ولم تتساوى فيها هذه الشهادات لأمرين:

الأول : الفصل بين المعطوف عليه: (شهد الله) والمعطوف: (والملائكة وأولوا العلم).

الثاني: أنه قال جل وعلا: (قائماً بالقسط) ولم يقل (قائمين بالقسط) شهادة الله أعظم وتختلف عن شهادة الملائكة وشهادة العلماء لوجود الفاصل بالمفعول وهو : (أنه لآ إله إلا هو).

قال أبو حيان : "شهادة الله بيانه وإظهاره ، وشهادة الملائكة بمعنى الإقرار وشهادة أولي العلم الإقرار والبيان"[١].

ثم قال: (أنه لآ إله إلا هو) مفعول: (شهد) وفصل به بين المعطوف عليه والمعطوف ليدل على الاعتناء بذكر المفعول، وليدل على تفاوت درجة المتعاطفين بحيث لا ينسقان متجاورين، وقدم الملائكة على أولي العلم من البشر لأنهم الملأ الأعلى وعلمهم كله ضروري بخلاف البشر فإن علمهم ضروري واكتسابي"[٢].

---

(١) البحر المحيط (٤١٩/٢).
(٢) البحر المحيط (٤٢٠/٢).

فهذا الفصلُ بين المعطوف عليه والمعطوف بالمفعول أوجب اختلافاً جوهرياً بين شـــهادة الله لنفسه، وشهادة الملائكة وشهادة أولي العلم، بل إن شهادة الله تختلف عن شهادة الملائكة وأولي العلم من كل وجه ، والله أعلم.

وهـــذا الأسلوب البليغ يجعلنا نعيد النظر في كلام ابن كثير ونوجهه على أحسن الوجـــوه فقـــال: (ثـــم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته .. وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام) [١].

والأولـــى أن يقـــول: (ثم قرن شهادة العلماء بشهادة ملائكته وهذه خصوصية عظـــيمة للعلماء في هذا المقام) لأن شهادة الله لنفسه فصلت بالمفعول وهو ك (أنه لآ إله إلا هو) أو نحمل المقارنة على أدنى مشاركة وهو الأولى ليبقى كلام ابن كثير قائماً والله أعلم.

المثال الخامس :

ومـــن الآيـــات التـــي ظهر فيها أثر الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف في المعاني والأحكام قوله تعالى: ((فَإِنْ حَآجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) [٢].

ونضـــم إلـــيها قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [٣].

لشـــبهها بـــالأولى، لأن كلاً منهما فصل المعطوف عليه عن المعطوف بمتعلقات الجملـــة قولـــه: (ومـــن اتبعـــن) عطف على التاء في قوله (أسلمت) و (وجهي لله) مفعول (أسلمت)،وجاز العطف على الضمير المرفوع من غير تأكيد للفصل بينهما[٤]، وقولـــه: (ومـــن اتبعنـــي) في الآية الثانية معطوف على الضمير المستتر في قوله (أدعو) والجار والمجرور فصل بين المعطوف عليه والمعطوف.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٦١/١).
(٢) من الآية ٢٠ سورة آل عمران.
(٣) الآية ١٠٨ سورة يوسف.
(٤) انظر: الجامع للقرطبي(٤٨/٤).

الشـــاهد عـــندنا أن الفصل في الآية الأولى دلّ على أن التفاوتَ كبير بين إسلام النبـــي صلى الله عليه وسلم وجهه لله وبين إسلام من اتبعه من المؤمنين كما ذكرنا في إيمانه في قوله (آمن الرسول).

والشـــاهد في الآية الثانية أن دعوة النبي أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلـــى الله على بصيرة تختلف وتتباين عن دعوة أتباعه من وجوه، وحينئذ فإن فصل المعطـــوف عليه عن المعطوف يدل دلالة قوية على معان وأحاكم لم تكن للمعطوف إذا تأخـــر عن المعطوف عليه، فتأخره يجعله متأخراً عن المعاني والأحكام التي ظفر بهـــا وفاز المعطوف عليه، فدعوة من اتبعه واسلم وجهه تبقى متأخرة ولا يمكن أن ترقى إلى مستوى دعوة إسلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تدانيها[1].

المثال السادس:

ومـــن الآيـــات التـــي يظهـــر فيها اثر الفصل بين المتعاطفين جلياً في المعاني والأحكـــام قوله تعالى : ((جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [2].

ولمـــا ذكـــر الله تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ذكر بعدها هذه الثلاثة ، وهي الشهر الحرام قياماً للناس والهدي قياماً للناس والقلائد قياماً للناس ، وإن هذه الثلاثة إنما صارت لقوام المعيشة لانتسابها إلى الكعبة البيت الحرام، فكان ذلك دليلاً على عظمة هذا البيت وغاية شرفه.

ونظـــراً لأهمية البيت الحرام في أمور الدين والدنيا جعل لها وحدها القوامة ثم عطـــف عليها الأمور الثلاثة لأنهن لم تصل مشاركتهن في القوامة على منزلة البيت الحرام، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن المعطوف إذا لم يكن مشاركاً للمعطوف عليه من كـــل وجـــه ومســـاوياً لـــه فـــي إحداث الفعل ينبغي أن يتأخر عن متعلقات الجملة ومكمّلاتها.

---

(١) انظر تفسير الجمل(٢٥٣/١)، اللباب (٢٢٤/١١)، التحرير(٦٥/١٣)، البحر(٣٤٦/٥).
(٢) من الآية ٩٧ سورة المائدة.

ففي هذا دقة في التعبير عن المراد واتضاح للحكم الذي يؤخذ من الآية لا يرقى إليه مستوى البشر ، ولو عطفت هذه الأمور على التوالي واتصلت بالبيت الحرام لما ظهرت منزلة البيت الحرام على هذه الأشياء الأربعة، ولما ظهر هذا التفاوت العظيم بين الكعبة البيت الحرام وبين الشهر الحرام والهدي والقلائد ، والفاصل بين البيت الحرام المفعول الثاني أو الحال لـ (جعل) [1]. ويتأكد هذا التفاوت من تأخير ذكر المتعاطفين عن قوله : ((قياماً للناس)) وفصله عن المعطوف عليه وهو "الكعبة البيت الحرام".

المثال السابع :

ومن الآيات التي برز فيها أثرُ الفصل بين المتعاطفين في المعاني والأحكام قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [2] في سياق المؤمنين التائبين.

العطف بالواو في حد ذاته لا يفيد إلا أصل التشريك ، فأما التسوية في كل الأمور فغير واجب، فما بالك إذا فصل بين المعطوف عليه والمعطوف بمعمول الفعل وهو المفعول: (عملكم) فالتسوية بالفصل تنتفي من أساسها ويحدث الفصل تفاوتاً كبيراً.

أقول: فإن (ورسولُه) معطوف على لفظ الجلالة: (الله) وهو في حكم الفاعل وتقدير ذلك في كلام البشر: فسيرى اللهُ ورسولُه والمؤمنون عَمَلَكم) ، ولما تأخر لفظ (ورسوله)عن معموله ، وتقدم المعمول أي المفعول أفاد مؤكدة بأن رؤية الله لأعمال المنافقين تختلف تماماً عن رؤية الرسول – صلى الله عليه وسلم– ورؤية المؤمنين ، فإن الله لا تخفى عليه خافية فيعلم أعمال القلوب كالإرادات والخواطر ، ويعلم أعمال الجوارح كالحركات والسكنات، ورسوله والمؤمنون إنما يرون أفعال الجوارح، فلما تقيدت هذه الرؤية بأعمال الجوارح الظاهرة في حق المعطوف وجب

---

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي(١٠٨/٦) البحر المحيط (٢٨/٤).
(٢) من الآية ١٠٥ سورة التوبة.

فصل المعطوف عليه بالمفعول عن المعطوف ، وقدم الرسول – صلى الله عليه وسلم– لأن الله يعلمه بما يريد[1].

ولذلك حذف ((والمؤمنون)) في سياق المنافقين ، فقال: ((قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسولُه ثم يردون إلى عالم الغيب والشهادة)) [2].

ولما كان الأمر يتعلق بالمنافقين ن وأعمالهم قائمة على التخفي والتستر ومخالفة الظاهر للباطن لم يذكر: ((والمؤمنون)) كما ذكرنا في سياق المؤمنين الذين ظاهرهم كباطنهم ، وأيضاً هنا فصل بين المعطوف عليه ((الله)) بمعمول الفعل ((عملكم)) وأخر((ورسوله)) وهو في حكم الفاعل لاختلاف الرؤيتين، وهذا من بلاغة القرآن الكريم في التعبير عن المعاني والأحكام.

قال أبو السعود: « وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى ((ورسوله)) للإيذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما» [3].

المثال الثامن :

من الآيات التي ظهر فيها أثر الفصل بين المتعاطفين وروعة بيانه في المعاني والأحكام قوله تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) [4].

لم أجد من المفسرين من فسّر هذه الآية على وجهها وترتيبها، وكلهم قالوا بالتقديم والتأخير الذي هو خلاف الأصل وخلاف التلاوة والترتيل.

والعجيب أن الله عز وجل أخرج: (الأجل المسمّى) من جواب (لولا) وهم أدخلوه في حكم هو برئ منه ، ثم اضطروا أن يحوّلوا الجواب. المفرد (لكان لزاماً) إلى صيغة التثنية فقالوا: ((لكانا لازمين)).

---

(١) انظر : اللباب في علوم الكتاب (١٠/١٩٩).
(٢) من الآية ٩٣ سورة التوبة.
(٣) تفسير أبي السعود (٤/٩٤- ١٠٠) البحر المحيط (٧/٢٣).
(٤) الآية ٢٩ ، سورة طه.

وهـذا حـال من يحكّم الصناعة النحوية على معاني كتاب الله فترتب على ذلك تغيير في المبنى وتغيير في المعنى[1].

أقـول وبالله التوفيق : المراد بالكلمة السابقة: تأخير عذاب الاستئصال عن هذه الأمة تكريماً لنبيها – صلى الله عليه وسلم –(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)) [2].

والمعـنى : ولـولا الوعد السابق من الله بتأخير العذاب عن المشركين إلى يوم القـيامة لكـان العذاب لازماً لهم في الدنيا، ولولا الأجل المسمى لأعمالهم لما تأخر عنهم.

قال أبو حيان : « والظاهر عطف (وأجل مسمّى) على (كلمة) ، وأخر المعطوف عـن المعطـوف عليه، وفصل بينهما بجواب: (ولولا)) وهو: (لكان لزاماً) لمراعاة الفواصل ورءوس الآي» [3] .

وقـال أبـو السـعود: « وفصـله عما عطف عليه للمسارعة إلى بيان جواب: ((ولـولا)) وللإشـعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآية الكريمة»[4].

أقول: إن هذا الفصل بين المعطوف عليه: (كلمة) ، والمعطوف: (وأجل مسمّى) يفـيد انفـراد الأجل المسمّى عن الأخذ العاجل ولا يدخل فيه من كل وجه في الكلمة التـي سبقت ، وإن اشتراكاً في الهلاك، هم يهلكون ويؤخذون بسبب كفرهم، ويموت أصحاب الأجل المسمّى بسبب حلول الأجل الذي قدره الله لهم أن يعيشوه، ولا يكون بسـبب الذنـب والعصيان ، فالفصل وحده بين المعطوف عليه والمعطوف أفاد هذا المعنى.

الأجـل المسمّى لا يأخذ حكم الأخذ اللازم ، لأن الأول يكون سببه العقاب والثاني يكـون سـببه الأجـل المسـمّى المقـدر لأعمارهم لا علاقة له بالذنب يستوي فيه

---

(١) انظر:فتح القدير (٥٦٣/٣)، فتح البيان(٢٩٣/٨) تفسير البغوي(٢٣٥/٣)، روح المعاني(٩/ ٤١٠)، اللباب في علوم الكتاب (٤٢٢/١٣)، التحرير والتنوير(٣٣٧/١٦).

(٢) من الآية ٣٣ سورة الأنفال.

(٣) البحر المحيط (٢٦٨/٦).

(٤) تفسير أبي السعود (٤٩/٦).

المؤمنون والكافرون ، ومن ثم أخرجه الله من جواب: (ولولا) فشتان ما بينهما ، ومن ثم ذكر بعد ((ولولا).

الآية على وجهها وترتيبها أفادت معنى جميلاً وبلاغة وحكماً ما كان ليكون لولا هذا الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف ، فهو فصل بين معنيين مختلفين وحكمين متفاوتين، فإذا قدّرت تقديمة سويت بينهما في الحكم ، والله عز وجل لا يريد ذلك.

وقال الألوسي في ردّه على من يعلل للتقديم والتأخير لمراعاة رؤوس الآي : « إن المحافظة على رؤوس الآي إنما تحسن – كما قال الزمخشري – بعد إيقاع المعاني على النهج الذي يقتضيه حسنُ النّظم والتئامه ، فأمّا أن تهمل المعاني ويهتم للتحسين وحده فليس من قبيل البلاغة».

ونقل عن الشيخ عبد القاهر قوله : « أصل الحسن في جميع المحسنات اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني ، فمجرد المحافظة على رؤوس الآي ، لا يُصَيِّرُ نكتةً للتقديم إلا بعد أن يثبت أن المعاني إذا أُرسلت على سَجِيَّتِهَا كانت تقتضي التقديم» [1].

المثال التاسع :

والآية التي يظهر فيها التفاوت كبيراً في المعاني والأحكام قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [2].

لولا التزامي بالترتيب وأنا أتحدث عن الترتيب لجعلت هذه الآية في صدر هذا البحث لوضوح محل الشاهد فيها وسهولة إدراك أثر فصل المعطوف عليه عن المعطوف بمتعلقات الجملة في المعاني والأحكام.

---

(١) روح المعاني: للألوسي(١٠٨/١ ، ١٠٩).
(٢) الآيتان (٢ ، ٣) من سورة الجمعة.

قولـه (وآخريـن) في محل جر عطفاً على (الأميين) وقيل معطوف على ضمير المفعول في قوله (ويزكيهم) [1].

والآية توضح لنا هذه القاعدة ، وهو أن المعطوف إذا لم يكن متصلاً بالمعطوف عليـه وفصـل بينهما بمتعلقات الجملة، فإن هذا الأخير لا يشترك مع الأول من كل وجـه والدليل على ذلك أن: ((الأميين)) وهو المعطوف عليه كانوا في ضلال مبين ، وقوله: ((وآخرين)) وهو المعطوف لما يأتوا بعد ، فلا يدخلون في الضلال المبين ، فـإذا قدرت التقديم فقد أدخلتهم في الضلال لمحض الرأي ، بل جعلتهم في مقام من يـتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وهم لم يدركوه صلى الله عليه وسـلم ، فشـتان ما بين من تلا عليهم وزكاهم وعلمهم ، وبين الآخرين ، فالأولون أعلى منزلة ورتبة لم يصلها الآخرون ، فالأولون هم الصحابة ، والآخرون هم الذين يأتوا بعدهم.

كـل هـذا سببه الفصل بين المتعاطفين بمتعلقات الجملة وهو من روائع التعبير عن المعاني والأحكام في كتاب الله.

❁❁❁

(١) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري(٢/٢٦١).

خاتمة البحث

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أن جعل رغبتي في القرآن وعلومه فله الحمد والشكر على ما أنعم وتفضل ، والفضل لله وحده ثم للعلماء الذي نقلت أقوالهم اللهم اغفر لنا ولهم وارحمنا وارحمهم ورحم والدينا وجميع المسلمين.

إن العيش مع كتاب الله تلاوة وحفظاً ودراسة هي السعادة الحقيقية التي لا يعرفها إلا من تذوقها من القرآن نفسه، فألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ومعانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها.

قال الراغب واصفاً ألفاظ القرآن: ((فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها .. كالقشور والنوى .. والحثالة والتبن)) [1].

وقال الإمام الشافعي مبيناً معانيه الواسعة: ((ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)).

وتوسع في هذا المعنى الشيخ الشنقيطي ، فقال: ((ولكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مرّ الليالي والأيام ، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل ويدل لذلك إجابة علي رضي عنه للسائل ، فقال (لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في كتاب الله)) فقوله تعالى : ((إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في كتاب الله)) يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس)) [2].

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني ، ص ٨.
(٢) أضواء البيان للشنقيطي(٣/٩٣).

وإن ممـــا يـــتفق مـــع الإعجـــاز البيانـــي في القرآن الكريم اعتبار الفصل بين المتعاطفيـــن لذو دلالة على التفاوت الكبير بين المعطوف عليه والمعطوف ، ويؤكد عـــدم التساوي في إحداث الفعل ، ولم يكن هذا الترتيب لكتاب الله اتفاقاً بل له دلالته اللفظـــية والمعنوية ، ولم يكن قط لأجل التجانس والتشاكل ومراعاة الفواصل ، فلا ينبغـــي أن نقـــدر تقديماً أو تأخيراً بدون دليل قاطع ، فإنه يفسد المعنى ، فإذا كان الإعـــراب يدعو إلى أمر والمعنى يمنع منه ، فيجب أن نتمسك بصحة المعنى ونؤول لصحة المعنى الإعراب.

أسلوب القرآن وروعة بيانه في الفصل بين المتعاطفين يدل دلالة قوية واضحة علـــى أن المعطـــوف علـــيه أعلـــى مرتبة ومنزلة من المعطوف كما وضعناها في الدراســـات التطبيقـــية على الآيات ، فالفصل بينهما بمتعلقات الجملة ومكملاتها يدل علـــى التفات الكبير ، والمعربون لكتاب الله تراهم غالباً ما يقدرون تقديم المعطوف ليتصل بالمعطوف عليه ، وهذا يذهب ببلاغة المعنى وجمال المقصود وكمال الحكم.

ومـــا ذكـــره الإمام الطاهر بن عاشور في الآية ١٢٧ سورة البقرة، وما أجريت على مثاله من تطبيقات عملية يعد كشفاً جديداً لبعض ما يزخر به القرآن الكريم من علـــوم لا تـــزال تتجدد ، فلا تعرف الأفول ، ولا علم أحداً تكلم على هذا النوع من علوم القرآن وبلاغته ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الذي يدرس العربية خارج لغة القرآن وأسلوبه يرتكب أخطاء جمة ، ربما يتعلم قـــاعدة مـــن القواعد أو أسلوب من الأساليب ويطبقها على لغة القرآن الكريم، فإذا وجد الآية القرآنية لا تطابق مع ما تعلمه من خارج القرآن يصفها بالشذوذ أو الردّ أو الإنكار ، وقد حصل شيء من هذا من النحاة.

إذا أردنا أن نطبق لغة القرآن وأسلوب القرآن في تعاملنا مع اللغة العربية نقول مـــثلاً: كلـــية الشريعةُ للدراسات الإسلامية والقانون هذه الجملة جاءت على منوال أسلوب القرآن.

وفـــي الواقـــع المشهود ترى لوحة كبيرة بخط عريض فوق باب بعض الكليات هكـــذا (كلـــية الشريعة والقانون للدراسات الإسلامية) فهذا الأسلوب غير صحيح إذا

قارناه بأسلوب القرآن وفيه تناقض في المعنى لأن القانون ليس فيه شريعة إسلامية ودراســـات ، فهو نظام وضعي لا يصح أن ينسق مع الشريعة على سبيل التساوي، فإن هذا التعبير مرفوض لفظاً ومعنى إذا حكّمناه بلغة القرآن ، وإذا كان ولابدّ فنقول كلـــية الشـــريعة للدراســـات الإسلامية والقانون ، وبهذا التعبير أخرجنا القانون من الدراسات الإسلامية ووضعناه في موضعه الذي يستحقه.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

١- الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي ، ط٣ دار الكتب العلمية ١٩٩٥م – بيروت.
٢- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام ط١ دار عمّار ٢٠٠٠م – الأردن.
٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي – دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٩٩٦م.
٤- إعجاز القرآن البياني للدكتور صلاح الخالدي ، طبعة دار عمّار ، ط٢ سنة ٢٠٠٤م.
٥- إمـــلاء ما من به الرحمن للشيخ أبي البقاء العكبري ، دار الكتب العلمية – لبنان ط١ سنة ١٩٧٩م.
٦- البرهان في علوم القرآن للإمام بدرالدين الزركشي ، دار المعرفة، لبنان ط٢ سنة ١٩٩٤م.
٧- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي ، ط١ مكتبة الدار ١٤٠٤هـ المدينة.
٨- ٨ – بدائـــع التفســـير للإمام ابن القيم جمع يسري محمد ، ط دار ابن الجوزي ، ط١ سنة ١٩٩٣م جدة.
٩- تفســـير الـــتحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور، ط١ الدار التونسية – بدون تاريخ – تونس.
١٠- تفسير الفخر الرازي ، ط المكتبة التجارية ، دار الفكر لبنان ، سنة ١٩٩٤م بيروت.
١١- تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان ط١ دار الكتب لبنان ١٩٩٣م بيروت.
١٢- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير إسماعيل ط دار المعرفة ٩ بيروت ١٩٩٧م، لبنان.
١٣- تفسير أبي السعود العمادي ط٢ دار إحياء التراث ١٩٩٠م بيروت – لبنان.
١٤- تفسير المنار للشيخ محمد رشد رضا ، ط دار المعرفة ١٩٩٣م- بيروت – لبنان.
١٥- تفسير البغوي المسمّى بمعالم التنزيل ط١ دار المعرفة ١٩٨٦م – بيروت – لبنان.
١٦- التمهيد في معرفة التجويد للإمام أبي العلاء الهمداني ط١ دار عمار ٢٠٠٠م، الأردن.
١٧- التمهـــيد فـــي علم التجويد للإمام أبي الخير بن الجزري ط١ مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م – سوريا.
١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري ، ط دار الفكر ١٤٠٥هـ ، بيروت.
١٩- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، ط١ دار الكتاب ١٩٩٧م ، بيروت.
٢٠- جمال القراء وكمال الإقراء للإمام علم الدين السخاوي ، ط دار البلاغة ١٩٩٣م ، لبنان.
٢١- جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ، ط١ العصرية ١٩٩٩م ، بيروت.
٢٢- خصائص القرآن الكريم ، د. فهد الرومي ، ط١٠ مكتبة التوبة ٢٠٠٠م، الرياض.

٢٣- دقائق التفسير لابن تيمية ، ط٢ مؤسسة القرآن ١٩٨٤م ، سوريا.
٢٤- دراسات في علوم القرآن د. فهد الرومي ، ط٧ مكتبة التوبة ١٩٩٨م، الرياض.
٢٥- سنن القراء ومناهج المجودين د. عبد العزيز القاري ، ط١ مكتبة الدار ١٤١٤هـ المدينة المنورة.
٢٦- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج بن الجوزي، ط١ دار الكتب العلمية ١٩٩٤م، بيروت.
٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، ط١ دار إحياء التراث ١٩٩٧م، بيروت.
٢٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن ابي طالب ط٣ الرسالة ١٩٨٤م سوريا.
٢٩- اللباب في علوم الكتاب للإمام ابن عادل ، ط١ دار الكتب ١٩٩٨م، بيروت – لبنان.
٣٠- مفردات الراغب الأصفهاني ، ط١ دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م، بيروت – لبنان.
٣١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للحافظ السيوطي، ط٣ دار التراث بالقاهرة.
٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، ط١ دار الكتب ١٩٩٣م ، بيروت.
٣٣- المعاني في ضوء اساليب القرآن الكريم ، د. عبدالفتاح لاشين ، ط٤ دار الفكر ١٩٩٩م القاهرة.
٣٤- المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني الأندلسي ، ط٢ الرسالة ١٩٨٧م بيروت.
٣٥- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني أحمد ، ط١ دار المصحف ١٩٨٣م سوريا.
٣٦- نتائج الفكر في النحو للإمام السهيلي ، ط دار الاعتصام ١٩٨٥م ، القاهرة.
٣٧- الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني ، ط١ دار ابن حزم ٢٠٠١م بيروت ، لبنان.
٣٨- النجوم الطوالع للإمام إبراهيم المارغني ، طبعة دار الفكر ١٩٩٤م ، بيروت.
٣٩- النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، ط١ الأوقاف ١٩٨٢م ، الكويت.
٤٠- القرآن وأثره في الدراسات النحوية ، د. عبدالعال سالم مكرم ، ط دار التراث ، القاهرة.
٤١- القراءات المتواترة ، د. محمد الحبش ، ط١ دار الفكر ١٩٩٩م ، دمشق.
٤٢- القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ، ط١ عالم الكتب ١٩٩٢م – الرياض.
٤٣- قواعد التدبر الأمثل للشيخ عبد الرحمن الميداني ، ط٢ دار القلم ١٩٨٩م – دمشق.
٤٤- قواعد التفسير ، خالد السبت ط١ دار ابن عفان ١٩٩٧م ، السعودية.
٤٥- فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق بن حسن البخاري ، ط٢ العصرية١٩٩٥م، بيروت.
٤٦- فتح القدير الجامع بين فنيي الرواية والدراية، محمد الشوكاني ط دار الفكر ١٩٩٥م، بيروت.
٤٧- عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ للسمين الحلبي ، ط١ دار الكتب ١٩٩٦م ، بيروت.